شرح كلمة "خَلِيْفَةٌ" في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب

EXPLANATION OF THE WORD "KHALIFAH" (CALIPH) IN THE LIGHT OF THE QUR'AN AND ARABIC POETRY

*د. أورنك زيب الأعظمي

ABSTRACT:

The Qur'ān is a divine book revealed in eloquent Arabic that was prevelant among the Quriash and was commonly understood by the Arabs of the whole Arabia. To this quality of it the Qur'ān itself pointed out saying: "This is an eleguest Arabic". (al-Naḥl: 103).Thus each word used by the Qur'ān is Arabic as well as is used by the eloquent Arabs thoug it is originally Arabic or borrowed by them from any other language- such as Sanskrit. In this article one of its words 'Khalīfah' has been discussed in the light of the Qur'ān and Arabic poetry of that period and the periods that have been accepted for citation. It is a humble effort and the redears comments will be welcome wholeheartedly.

KEYWORDS: The Noble Qur'an, Arabic Poetry, Dictionaries and Dictionaries, Arabic Grammar and Islamic Terms.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الشعر العربي، المعاجم والقواميس، النحو العربي والمصطلحات الإسلامية.

كل مشتق من المادة (خ ل ف) يعني كونه خلف الشيء أو عنه فخلف وخلفه وأخلفه وأخلف عنه وخلّفه وخالف واختلف واستخلفه، وفي هذا الفصل نتحدث عن كلمة "خليفة" وما يشبهه من المشتقات في القرآن الكريم.

قال الله تعالى:

"وَوٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيلَة وَأَتمَمنَٰهَا بعَشر فَتَمَّ ميقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَربَعِينَ لَيلَة وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيه هَٰرُونَ ٱخلُفنِي فِي قَومِي وَأَصلِح وَلَا تَتَّبِع سَبِيلَ ٱلمُفسِدِينَ ١٤٢". (سورة الأعراف)

* مدير تحرير "مجلة الهند" وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

"ولَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَومِهِۦ غَضبَٰنَ أَسِفا قَالَ بِئسَما خَلَفتُمونِي مِن بَعدِيٓ أَعَجِلتُم أَمرَ رَبِّكُم وَأَلقَى ٱلأَلوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيهِ قَالَ ٱبنَ أُمَّ إِنَّ ٱلقَومَ ٱستَضعَفُونِي وَكَادُوا يَقتُلُونَنِي فَلَا تُشمِت بِيَ ٱلأَعدَآءَ وَلَا تَجعَلنِي مَعَ ٱلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠". (سُورَةُ الأعراف)

"وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلأَرضِ خَلِيفَةٗ قَالُوٓاْ أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعلَمُ مَا لَا تَعلَمُونَ ٣٠". (سورة البقرة)

"يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلأَرضِ فَٱحكُم بَينَ ٱلنَّاسِ بِٱلحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَومَ ٱلحِسَابِ ٢٦". (سورة ص)

"وَلَقَد أَهلَكنَا ٱلقُرُونَ مِن قَبلِكُم لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتهُم رُسُلُهُم بِٱلبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلقَومَ ٱلمُجرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلنَٰكُم خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلأَرضِ مِنۢ بَعدِهِم لِنَنظُرَ كَيفَ تَعمَلُونَ ١٤". (سُورَةُ يونُسَ)

"فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّينَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلفُلكِ وَجَعَلنَٰهُم خَلَٰٓئِفَ وَأَغرَقنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُر كَيفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلمُنذَرِينَ ٧٣". (سُورَة يونسَ)

فخلفه يخلف: نابَ منابَه وقام مقامه كما قال حاتم الطائي:

إذا مات منّا سيد قام بعده	نظير له، يغني غناه ويخلُف[1]

وقال تعالى في سورة الأعراف:

"وَوَٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيلَةٗ وَأَتمَمنَٰهَا بِعَشرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَربَعِينَ لَيلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخلُفنِي فِي قَومِي وَأَصلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلمُفسِدِينَ ١٤٢". ومنه أخلفه: جعله خَلفه كما قال النمر بن تولب العَكلي:

[1] ديوانه، ص 73

وأصبحت قد أعرضن عني وسؤنني	وأخلفنني عهد الخليل المماطل[2]

والاسم منه "خليفة" جمعه خلفاء وخلائف. قال طفيل الغنوي يرثي فرسان قومه:

تأوّبني همٌّ مع الليل منصب	وجاء من الأخبار ما لا أكذّب
تظاهرن حتى لم تكن لي ريبة	ولم يك عما أخبروا متعقَّب
وكان هريم من سنان خليفة	وحصن ومن أسماء لما تغيبوا
ومن قيس الثاوي برمان بيته	ويوم حقيل فاد آخر معجب[3]

وقال الأعشى الكبير:

ومثلك معجبة بالشبا	ب، صاك العبير بأجسادها
تسلّيتها بعد نوم الرقيب	وغفلة عين، وإيقادها
فبتُّ الخليفة من زوجها	وسيد "تيا" ومستادها[4]

ويروى: "فكنت الخليفة من بعلها".

وقال أبو خراش الهذلي:

ولولا دراك الشد قاظت حليلتي	تخير من خطّابها وهي أيم
فتقعد أو ترضى مكاني خليفة	وكاد خراش يوم ذاك ييتم[5]

وقال أوس بن حجر يرثي عمرو بن مسعود:

يا عين جودي على عمرو بن مسعود	أهل العفاف وأهل الحزم والجود
أودى ربيع الصعاليك الألى انتجعوا	وكل ما فوقها من صالح مودي
المطعم الحي والأموات إن نزلوا	شحم النسام من الكوم المقاحيد

[2] ديوانه، ص 109

[3] ديوانه، ص 52-53

[4] ديوانه، 231/1

[5] ديوان الهذليين، 148/2

والواهب المائة المعكاء يشفعها	يوم النضال بأخرى غير مجهود
إنّ من القوم موجودا خليفته	وما حليفُ أبي وهب بموجود[6]

وقال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

وفي كلّ يوم ذي حفاظ بلوتني	فقمت مقاما لم تقمه العواور
لي النصر منهم والولاء عليكم	وما كنت فقعا أنبتته القراقر
وأنت فقير لم تبدَّلْ خليفةً	سواي، ولم يلحق بنوك الأصاغر
فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن	بأنّك قد قدّمت رجلَك عاثر
وإنّ هوانَ الجار للجار مؤلم	وفاقرةٌ تهوي إليها الفواقر[7]

وكما قال الشاعر الحماسي سعد بن مالك بن ضبيعة:

يا بؤس للحرب التي	وضعت أراهطَ فاستراحوا
والحرب لا يبقى لجا	حمها التخيّلُ والمِراحُ
إلا الفتى الصبار للنجـ	ـدات والفرس الوقاحُ
والنثرة الحصداء والـ	ـبيض المكَلَّل والرماحُ
وتساقطُ الأوشاظ والذَ	نَبات إذ جهدَ الفضاحُ
والكرُّ بعد الفر إذ	كُره التقدّم والنطاحُ
كشفت له عن ساقها	وبدا من الشر الصراح
فالهمُّ بيضات الخدو	ر هناك لا النَّعم المراح
بئس الخلائف بعدنا	أولادُ يشكر واللقاحُ
من صدَّ عن نيرانها	فأنا ابن قيس لا براح[8]

وقال الفرزدق:

[6] ديوانه، ص 25

[7] ديوانه، ص 65

[8] شرح ديوان الحماسة، 1/356-359

ولا جار بعد الله خير من الذي	وضعت إلى أبوابه رحل خائف
إلى خير جار مستجار بحبله	وأوفاه حبلاً للطريد المشارف
على هوّة الموت التي إن تقاذفت	به قذفته في بعيد النفانف
فلا بأس أني قد أخذت بعروة	هي العروة الوثقى لخير الخلائف[9]

وقال تعالى:

"أَمَّن يُجِيبُ ٱلمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجعَلُكُم خُلَفَآءَ ٱلأَرضِ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢". (سورة النمل)

ومنه خَلَفَ لمعنى الخليفة الخير كما قال الربيع بن أبي الحقيق اليهودي:

إذا مات منا سيد قام بعده	له خَلَفٌ بادي السيادة بارع
من أبنائنا، والغصن ينضر فرعه	على أصله، والعرق للمرء نازع[10]

وقال كعب بن زهير:

من سره كرم الحياة فلا يزلْ	في مقنب من صالحي الأنصار
تزنُ الجبالَ رزانةً أحلامهم	وأكفُّهم خَلَفٌ من الأمطار[11]

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر، إن كنتم تعقلون! أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخَلَف الباقين لا يبقون! أو لستم ترون أهل الدنيا يُصبحون ويُمسون على أحوالٍ شتى --"[12].

ومنه خَلْفَ لمعنى الخليفة الشر كما قال الحطيئة:

---

[9] ديوانه، ص 378

[10] كتاب الأشباه والنظائر، 72/1

[11] ديوانه، ص 19

[12] نهج البلاغة، ص 145

ولا هادم بنيان ما شرفت لهم	قُرَيع بن عوف خلْفُه وأكابره[13]

وقال تعالى:

"فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ وَرِثُواْ ٱلكِتَٰبَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلأَدنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغفَرُ لَنَا وَإِن يَأتِهِم عَرَضٌ مِّثلُهُۥ يَأخُذُوهُ أَلَم يُؤخَذ عَلَيهِم مِّيثَٰقُ ٱلكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلأٓخِرَةُ خَيرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعقِلُونَ ١٦٩". (سورة الأعراف)

وقال: "فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا ٥٩". (سورة مريم)

ومنه "خلفة" وهو نبت آخر الصيف فقال ذو الرمة:

تقيّظ الرمل حتى هزَّ خلفته	تروّح البرد ما في عيشه رتب[14]

ومنه استخلف: جعل خليفة كما قال الله تعالى:

"وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي ٱلأَرضِ كَمَا ٱستَخلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرتَضَىٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدُونَنِي لَا يُشرِكُونَ بِي شَيـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلفَٰسِقُونَ ٥٥". (سورة النور)

وقال في سورة الأعراف:

"قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبلِ أَن تَأتِيَنَا وَمِن بَعدِ مَا جِئتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِي ٱلأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلُونَ ١٢٩".

وقال الفرزدق:

والناس في فتنة عمياء قد تركت	أشرافهم بين مقتول ومحروب
دعوا ليستخلف الرحمن خيرهم،	والله يسمع دعوى كل مكروب[15]

[13] ديوانه، ص 101

[14] ديوانه، ص 16

ومن هنا تدرجت الكلمة في العصر الإسلامي فجعلت تعني خليفة الرسول في المسلمين فالخليفة المستعملة في كلام شعراء العصر الإسلامي أصبح مصطلحا يعني كل من يحكم المسلمين في ضوء الشريعة الإسلامية. فالدعاء الذي ذكره الفرزدق في شعره هو الحاكم المنصف على المسلمين. ولقد كثر استخدام هذا المصطلح في الشعر الإسلامي فقال، مثلاً، الفرزدق:

على خير منعيَّين إلا خليفةَ	وأولاه بالمجد الذي كان أرفعا[16]

وقال مسكين الدارمي:

بني خلفاء الله مهلاً فإنما	يبوءها الرحمن حيث يريد[17]

وقال جرير:

إنا لنرجو إذاما الغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من المطر[18]

وقال جرير أيضا:

إذا خاف درءا من عدو رمى به	شديدُ القوى والنزع في القوس نابل
خليفةُ عدل ثبّت الله ملكَه	على راسيات لم تُزلها الزلازل[19]

وقال الكميت بن زيد الأسدي بعدما ذكر الفتوح:

تلك الفتوح التي تدلي بحجتها	على الخليفة إنا معشر حشد[20]

وقال أبو النجم العجلي:

خليفةَ الله الذي أعطاني

[15] ديوانه، ص 26
[16] ديوانه، ص 345
[17] ديوانه، ص 33
[18] ديوانه، ص 210
[19] ديوانه، ص 354
[20] ديوانه، ص 117

ذكرا رفيعا، وغنى أغناني[21]

وقال الرماح بن ميادة:

ولأجلسن إلى الخليفة إنه	رحب الفناء بواسعٍ بحباح[22]

وقال إبراهيم بن هرمة القرشي يرثي الوليد بن يزيد:

وكانت أمور الناس منبتة القوى	فشد الوليد- حين قام- نظامها
خليفة حق، لا خليفة باطل	رمى عن قناة الدين حتى أقامها[23]

وقال مروان بن أبي حفصة:

أتظن يا إدريس أنك مفلت	كيد الخليفة أو يقيك فرار[24]

وملخص القول أنّ كلمة "خليفة" كلمة قديمة تعني من ناب مناب أحد، ومن هنا تطور حتى أصبحت مصطلحا تعني الحاكم الإسلامي الذي يقوم بالإدارة في ضوء الشريعة الإسلامية، القرآن والسنة.

[21] ديوانه، ص 441
[22] ديوانه، ص 100
[23] شعره، ص 215
[24] ديوانه، ص 50

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أساس البلاغة لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م
3. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد للعلامة سعيد الخوري الشرتوني، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، 1374هـ
4. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م
5. ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح وتحقيق: مُحَمَّد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة اَلعربَية، دمشق، 2006م
6. ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم مُحَمَّد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م
7. ديوان الحطيئة، دراسة وتبويب: د. مفيد مُحَمَّد قميحة، درا الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م
8. ديوان الرماح ابن ميادة، جمع وتحقيق: د. حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982م
9. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
10. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. مُحَمَّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
11. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد مُحَمَّد شاكر وعبد السلام مُحَمَّد هارون، دار المعارف، ط6

12. ديوان النمر بن تولب العكلي، شاعر مخضرم، جمع وشرح وتحقيق: د. مُحَمَّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
13. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، 1996م
14. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. مُحَمَّد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م
15. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
16. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، 1981م
17. ديوان ذي الرمة، تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م
18. ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م
19. ديوان كعب بن زهير، تحقيق: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م
20. ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.
21. ديوان مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق وتقديم: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط3، 1982م
22. ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العقبة، مطبعة دار البصرى، بغداد، ط:1، 1970م
23. شرح ديوان الحماسة للعلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى
24. شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق: مُحَمَّد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1869م
25. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، 1956م

26. كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، تحقيق: د. السيد مُحَمَّد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.

27. كتاب العين للخليل الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م

28. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.

29. نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط4، 2004م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)